المبحث الثانى
شبهات أعداء السنة المطهرة حول الوحى الإلهى والرد عليها

تمهيـد :

إذا كان أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة يتظاهرون بإسلامهم وإيمانهم بكتاب الله عز وجل، فإنك تجدهم يعلنون فى صراحة الكفر بالشطر الثانى من الوحى الإلهى المنزل على رسول الله ، وهو سنته المطهرة، وسيرته العطرة الواردة فيها 0

وهذا يبدوا واضحاً حين رسموا من خيالهم المريض صورة مزيفة لدور رسول الله فى رسالته؛ وهى صورة إجمالية لا تخرج عن دور "ساعى البريد" إن صح التعبير فى جناب مقامه الجليل 0

إنهم يرون أن مهمة رسول الله فى رسالته، قاصرة على بلاغ القرآن فقط، ومن هنا أنكروا سنته المطهرة، وسيرته العطرة الواردة فيها. وزعموا أن طاعته ، محصورة فى كتاب الله عز وجل فقط!0

ولأنهم يتمسحون بظاهر الآيات القرآنية وجدوا أنفسهم فى مأزق من خلال عشرات الآيات التى تحض على طاعته ، وتجعل طاعته من طاعة الله تعالى؛ فلم يعدموا لها تأويلاً، بزعمهم أن طاعة رسول الله ، فى القرآن تعنى الطاعة لكتاب الله عز وجل، ولم يكتفوا بهذا إذ زعموا أن القول بطاعة رسول الله شرك وتأليه له، ومن يقول بها فقد كفر وأشرك بربه 0

وهم فى كل ما يأفكون يتسترون بعباءة القرآن الكريم حتى يقبل المسلمون كلامهم، ولكن أنى لهم هذا! وهم يفسرون آيات الله عز وجل، تفسيراً يخرجها عن معناها تماماً، وهو نتيجة طبيعية لعدم التزامهم بقواعد التفسير، وأصول الفكر الإسلامى 0

فإلى تفصيل شبهاتهم والرد عليها فى المطالب التالية 0

المطلب الأول
شبهة أن مهمة رسول الله قاصرة على بلاغ القرآن فقط والرد عليها

طعن أعداء السنة المطهرة، فى دور رسول الله فى تبليغ الوحى، وحصروا بلاغه فى الرسالة، على تبليغ القرآن الكريم فقط، وقالوا هى مهمته الوحيدة، وعدوا القول بخلاف قولهم اتهام لرسول الله ، بأنه فرط فى تبليغ الوحى 0

وجاءت أقوالهم فيما يفترون صريحة، وإليك نماذج منها :

1- قال رشاد خليفة[1] : "إن مهمة الرسول الوحيدة : هى تبليغ القرآن بدون أى تغيير، أو إضافة، أو اختزال، أو شرح"[2]. وقال في موضع آخر : "أمر محمد بتبليغ القرآن فقط بدون أى تغيير، وألا يختلق أى شئ آخر" ويقول : "محمد ممنوع من التفوه بأى تعاليم دينية سوى القرآن"[3]0

2- ويقول محمد نجيب[4] : "نسبة أى شئ للرسول غير القرآن طعن فى أمانة الرسول 0[5]"

---

1 () هو : رشاد عبد الحليم محمد خليفة، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس، بمصر، عمل خبيراً زراعياً بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان عميلاً للبهائية ويدعوا إليها، وينكر حجية السنة النبوية، ادعى النبوة، ومات مقتولاً داخل مسجد قريب من جامعة أريزونا، حيث كان يقوم بتدريس أفكاره البهائية التى تشكك فى الإسلام، وفى حجية السنة المطهرة، ينظر : قصته فى كتابى الدفاع عن السنة ص 42 وما بعدها، ومسيلمة فى مسجد توسان ص 16، 70 كلاهما لفضيلة الدكتور طه حبيشى،وينظر:رشاد خليفة صنيعة الصليبية العالمية للدكتور خالد نعيم ص 16 – 59 0

2 () القرآن والحديث والإسلام ص 13، وينظر : من نفس المصدر ص 17، 18، 33 0

3 () المصدر السابق ص 2، 3، وينظر له أيضاً : قرآن أم حديث ص 2، 16 0

4 () كاتب مصرى معاصر، من مؤلفاته "الصلاة" أنكر فيه السنة المطهرة، وزعم أن تفاصيل الصلاة واردة فى القرآن الكريم، وكتابه صادر عن ندوة أنصار القرآن، نشر دائرة المعارف العلمية الإسلامية 0

5 () الصلاة ص 271، 272 0

3- ويقول أحمد صبحى منصور : "إن إسناد قول ما للنبى وجعله حقيقة دينية هو اتهام للنبى بأنه فرط فى تبليغ الرسالة... بإيجاز كانت مهمة النبى مقتصرة على التبليغ دون الإفتاء والتشريع"[1]0

4- ويقول إسماعيل منصور[2] : "إنه ليس لجبريل عليه السلام فى القرآن الكريم دور إلا النقل الأمين فحسب، كما أنه ليس لمحمد فيه دور كذلك إلا البلاغ الصادق وحده. قال تعالى : ﴿**إن عليك إلا البلاغ**﴾[3] وقال سبحانه : ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**0[4]﴾

5- ويقول جمال البنا[5] : "ونصوص القرآن الكريم واضحة، وصريحة، ومتعددة، وهى تحصر دور الرسول فى البلاغ، وكثيراً ما تأتى الإشارة إلى البلاغ بصيغة الحصر، ولكنها فى حالات أخرى تضيف إلى البلاغ صفة "المبين" قال تعالى : ﴿**وإن تولوا فإنما عليك البلاغ**﴾[6] وقال سبحانه : ﴿**فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين**0[7]﴾

---

1 () مشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحى وغيره ص 282 وينظر من نفس المصدر ص 287، 293، وينظر له : الأنبياء فى القرآن ص 26، ولماذا القرآن ص 43 – 52، ولا ناسخ ولا منسوخ فى القرآن ص 19، والمسلم العاصى ص 13 0

2 () هو : إسماعيل منصور جودة، تخرج من جامعة الأزهر، وحصل على العالمية فى الطب البيطرى من الجامعة، تبرأ من السنة، وزعم أنها أكذوبة كبيرة وخطيرة، وداهية كبرى، أريد بها التشويش على كلام الله تعالى. من آثاره : تبصير الأمة بحقيقة السنة، وشفاء الصدر بنفى عذاب القبر، وبلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمين. وغير ذلك 0

3 () جزء من الآية 48 الشورى 0

4 () الآية 54 النور، وينظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 267، 268 0

5 () هو : ابن العالم المحدث الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، صاحب الفتح الربانى فى ترتيب مسند أحمد، وشقيق الأستاذ حسن البنا، المرشد الأول لجامعة الإخوان المسلمين، من آثاره التى طعن فيها فى حجية السنة، الأصلان العظيمان، والسنة ودورها فى الفقه الجديد. وغير ذلك 0

6 () جزء من الآية 20 آل عمران 0

7 () الآية 12 التغابن. وينظر : السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 190، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 152، والبيان بالقرآن لمصطفى المهدوى 1/12، 2/793، ومجلة المنار المجلد 9/521، 522 مقال : "الإسلام هو القرآن وحده" للدكتور توفيق صدقى، وينطر : المجلد 9/909، 913، وإنذار من السماء لنيازى

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلى :

أولاً : لكل مسلم أن يعجب من جراءة هؤلاء الأدعياء الذين يتسترون بعباءة القرآن الكريم، فى جرأتهم وتطاولهم على الذات العليا من حيث يشعرون أو لا يشعرون 0

إذ بعثة الرسول أو النبى، وتحديد دوره فى رسالته أمر لا يملـك منـه أحـد شئ سوى الخالق عز وجل؛ وتلك بديهة لا يخالفها عاقل 0

فإذا جاء أعداء السنة المطهرة، وزعموا أن مهمة رسول الله قاصرة على بلاغ القرآن فقط، وأن نسبة أى شئ إليه سوى القرآن يعنى الطعن فى أمانته، وأنه فرط فى تبليغ الرسالة، فقد تجرءوا وتطاولوا على ربهم. حاسبهم سبحانه بما يستحقون 0

ثانياً : إذا كان أعداء السنة المطهرة والسيرة العطرة اتخذوا لأنفسهم شعار "القرآنيون" يستدلون به وحده على ما يزعمون؛ فهم يحرصون دائماً على الإيمان ببعض القرآن، والكفر ببعضه الآخر؛ حيث أنهم هنا فى افتراءاتهم يستدلون بظاهر وعموم بعض الآيات القرآنية التى تحث رسول الله ، على البلاغ، وتركوا باقى نصوص القرآن الكريم التى تفصل حقيقة هذا البلاغ، وتفصل أيضاً باقى أدوار رسول الله ، فى رسالته 0

وإليك شواهد من الآيات القرآنية ترد على افتراءاتهم، وتبين فى وضوح وجلاء أن دور رسول الله فى رسالته ليس قاصراً على بلاغ القرآن الكريم فقط، وإنما بيان هذا الكتاب الكريم، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتزكيتهم، والحكم بينهم فى كل شأن من شئون حياتهم، وما كل ذلك إلا بالسنة المطهرة، والسيرة العطرة التى ينكرونها 0

1- قال تعالى : **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**[1]

والبلاغ الذى أمر المولى عز وجل به رسوله، هو الوظيفة الأولى له وهو بلاغ عام وشامل لكل ما تحتاج إليه البشرية فى عاجلها وآجلها، ودنياها وأخراها، وقد وصل إلينا هذا البلاغ فى وحيين :

أحدهما : متلو وهو القرآن الكريم 0

وثانيهما : غير متلو وهو السنة المطهرة 0

عز الدين ص 141، ودفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 129، والخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص 40 كلاهما لصالح الوردانى 0

[1] () الآية 67 المائدة 0

ويدل على عموم البلاغ، عموم الاسم الموصول "ما" فى الآية الكريمة، كما عمم من أراد تبليغهم، حيث حذف المفعول الأول لـ "بلغ" ليعم الخلق المرسل إليهم؛ والتقدير : بلغ جميع ما أنزل إليك من كتاب وسنة، من يحتاج إلى معرفته من أمر الدين الموحى به إليك[1]0

أما كون رسول الله ﷺ، كما نص القرآن، ما عليه إلا البلاغ، والاستدلال بظاهر ذلك على حصر مهمته فى بلاغ القرآن فقط، فإن ذلك فهم غير مراد؛ لأن قوله تعالى : ﴿**ما على الرسول إلا البلاغ**﴾[2] معناه نفى الإكراه على الاعتقاد والإيمان، نحو قوله تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل**﴾[3] وقال سبحانه : ﴿**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ**﴾[4] والمعنى : نفى الإكراه على الاعتقاد والإيمان، ففى العقيدة والتصديق القلبى، لا إكراه، أى ليس هناك إلا البلاغ، أما فى شريعة الدولة والسياسة والاجتماع والمعاملات، فهناك السلطان والثواب والعقاب، وليس هناك أدنى تناقض بين وقوف سلطان الرسول ﷺ، فى العقيدة عند البلاغ؛ ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾[5] وبين وجود ووجوب الطاعة المتميزة له، فى إطار بيان وتطبيق الوحى الإلهى... بل إن القرآن الكريم يجمع بين الأمرين فى الآية الواحدة. وتأمل قوله تعالى : ﴿**قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾[6] فالرسول الله ﷺ، طاعة متميزة وسلطان وتشريع لإقامة الدين، والإقامة تطبيق وتجسيد، يزيد على مجرد البلاغ والتبليغ بدليل ما يلى :

---

1 () التحرير والتنوير 6/260 بتصرف، ويراجع : ص 260 0
2 () الآية 99 المائدة 0
3 () الآية 108 يونس 0
4 () الآية 48 الشورى 0
5 () الآية 256 البقرة 0
6 () الآية 54 النور 0

2- قوله تعالى : **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**[1] و"التبيين" هنا غير "التبليغ" الذى هو الوظيفة الأولى للنبى ، **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**0[2]

و"التبيين" و"التبليغ" وظيفتان موضوعهما واحد هو "القرآن الكريم" عبر عنه فى آية "التبليغ" بهذا اللفظ : **ما أنزل إليك** وعبر عنه فى آية التبيين بلفظ مختلف : **ما نزل إليهم** وبينهما فروق لها دلالتها. مردها إلى الفرق بين الوظيفتين 0

"فالتبليغ" : تأدية النص، تأدية "ما أنزل" كما "أنزل" دون تغييـر مـا علـى الإطلاق، لا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير 0

و"التبيين" : إيضاح، وتفسير، وكشف لمراد الله من خطابه لعباده، كى يتسنى لهم إدراكه، وتطبيقه، والعمل به على وجه صحيح 0
"والتبليغ" : مسئولية "المبلغ" وهو المؤتمن عليها، وهذا سر التعبير : **وأنزلنا إليك** حيث عدى الفعل "أنزل" بـ "إلى" إلى ضمير النبى المخاطب 0

و"التبيين" : مهمة، فرضتها حاجة الناس لفهم ما خوطبوا به وبلغوه، وإدراك دلالته الصحيحة، ليطبقوه تطبيقاً صحيحاً. ومن هنا كانت المخالفة فى العبارة ... "نزل إليهم" حيث عدى الفعل "نزل" بـ "إلى" مضافاً إلى الضمير "هم" أى الناس، وعدى الفعل : "لتبين" إلى الناس بـ "اللام" أن كانت حاجتهم إلى "التبيين" هى السبب والحكمة من ورائه، وهى توحى بقوة أن رسول الله ، ليس بحاجة إلى ما احتاج إليه الناس من هذا التبيين، ولعمرى إنه لكذلك، فقد أوحى إليه بيانه وألهمه، فالتقى فى نفسه "البيان" و"المبين" معاً وأصبح مؤهلاً لأن يقوم بالوظيفتين : وظيفة البلاغ، ووظيفة التبيين على سواء!0

وكما أن محالاً أن يكتم رسول الله ، شيئاً مما أمر بتبليغه، فمحال أن يترك شيئاً مما أمر بتبليغه دون أن يبينه، فكلا الأمرين : التبليغ والتبيين من صميم رسالته : **بلغ ما أنزل إليك** ...**لتبين للناس ما نزل إليهم**0

---

1 () الآية 44 النحل 0
2 () الآية 67 المائدة 0

واختلاف الناس فى فهم القرآن ما بين مصيب ومخطئ... واختلافهم فى درجات الإصابة، ودرجات الخطأ... برهان بين على حاجتهم إلى "تبيين" لكتــاب ربهم، ينهض به إمام الموقعين عن رب العالمين ... رسول الله الذى أنزل عليه هذا الكتاب 0

هنا يقع قول الله تعالى : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1] موقعاً يسد كل ثغرة، يحاول النفاذ منها من يرفض "سنة رسول الله" أو يهون من شأنها، أو يسعى للتشكيك فيها، وإسقاط حجيتها وإلزامها 0

ويقع نفس الموقع قول النبى ﷺ : **"لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول : لا أدرى؟ ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه"**[2]0

وهنا لى أن أقرر : أن إنكار مهمة رسول الله ﷺ، البيانية، أو رفضها أو التشكيك فيها ينطوى على رفض وتكذيب للقرآن نفسه؟ ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**﴾[3]0

كما ينطوى على الطعن فى عصمة رسول الله ﷺ، فى بلاغ وحى الله تعالى، إليه، لأن ترك تبيين كلمة واحدة فى القرآن الكريم، تحتاج إلى تبيين دون أن يبينها تقصير، ككتمان حرف واحد مما أمر بتبليغه، ورسول الله ﷺ مبرأ من أن يخون فى التبليغ، أو يقصر فى التبيين 0

فمن المتهم إذن : باتهام رسول الله ﷺ، بأنه فرط فى تبليغ رسالته؟ من يؤمن بأن من مهمته فى رسالته البيان أم من ينكر ذلك؟!0

إن إنكار أعداء السنة المطهرة، لهذه المهمة، بحجة أن المولى عز وجل تكفل بهذا البيان والتفصيل فى قوله : ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾[4] وقوله سبحانه : ﴿**وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً**﴾[5] وقوله :

---

1 () جزء من الآية 7 الحشر 0

2 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة 4/200 رقم 4605، والترمذى فى سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ 5/36 [illegible]

3 () الآية 5 الكهف 0

4 () الآية 19 القيامة 0

5 () جزء من الآية 114 الأنعام 0

ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ[1] لا حجة لهم فى ذلك لما يلى :

أ- أن مجئ لفظ البيان فى جانب الله تعالى : **ثم إن علينا بيانه**، ومجئ لفظ "التبيين" فى جانب رسول الله، **لتبين للناس ما نزل إليهم** لا يفسر بأنه تنويع فى اللفظ، أو تفنن فى العبارة، وإنما هو قصد مقصود، وراءه دلالات يبحث عنها وهى : أن "بيان" الله للقرآن إنما هو لنبيه ، ومصدره هو الله تعالى، ومستقبله رسول الله ، وطريقه : الوحى فى صورة ما من صورة. أما "التبيين" فهو من رسول الله للناس، ومصدره رسول الله، ومستقبله المخاطبون بهذا القرآن، وطريقه إنما هو "اللغة" وليس "الوحى"0

والخلاصة : رسول الله يتلقى بيان القرآن عن ربه "وحياً" والناس يتلقون تبيينه عن رسول الله "لغة وكلاماً"، **إذن :** هناك اختلاف بين "البيان" و"التبيين" من ثلاث جهات : من جهة المصدر، ومن جهة المستقبل، ومن جهة الطريق أو الأداة، أو الوسيلة، التى يعبر خلالها "البيان" أو "التبيين" إلى مستقبله هل يكفى هذا لبيان السبب فى اختصاص كل لفظ بموضعه؟0

وهل يزعم زاعم بعد هذا أن بالإمكان التعبير عن كلا "البيانين" "بيان الله" و"تبيين رسوله" للقرآن بلفظ واحد 0

إن الفرق من السعة والوضوح والعمق، بحيث يفرض اختلاف التعبير فى هذين المقامين المختلفين[2]0

ب- إن المراد بتفصيل وتبيان الكتاب لكل شئ يعنى : تفصيل وتبيان القرآن لكل شئ من أحكام هذا الدين كقواعد كلية مجمله. أما تفاصيل تلك القواعد، وما أشكل منها، فالبيان فيها راجع إلى تبيين رسول الله 0

---

1 () جزء من الآية 89 النحل. وينظر: ممن استشهد بذلك، توفيق صدقى فى مقاله "الإسلام هو القرآن وحده"، مجلة المنار المجلد 9/516، 907، وجمال البنا فى السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 33، ومحمود أبو ريه فى أضواء على السنة المحمدية ص 404، والصلاة لمحمد نجيب ص 23، وقاسم أحمد في إعادة تقييم الحديث ص 86، ومصطفى المهدوى فى البيان بالقرآن 1/10، 29، وأحمد صبحى فى الصلاة فى القرآن 32، 60، 61، وإسماعيل منصور فى تبصير الأمة ص 10، 11، 15 وغيرهم 0

2 () السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص 4،5،21،47، 48 0

ويدل على ذلك قول ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿**تبياناً لكل شئ**﴾ قال : قد بين لنا فى هذا القرآن، كل علم، وكل شئ. وقال مجاهد : كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتى، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. وقال الأوزاعى "تبياناً لكل شئ" أى بالسنة[1]0

ولا تعارض بين القولين – ابن مسعود والأوزاعى – فابن مسعود يقصد العلم الإجمالى الشامل، والأوزاعى يقصد تفصيل وبيان السنة لهذا العلم الإجمالى. ومن هنا؛ فالقول بأن القرآن الكريم تبيان لكل شئ قول صحيح فى ذاته بالمعنى الإجمالى السابق، ولكن الفساد فيما بنوه عليه من قصر مهمة رسول الله ﷺ، على بلاغ القرآن فقط، وإنكار مهمته البيانية (السنة المطهرة) والاكتفاء بالقرآن ليؤولوه حسب أهوائهم، وإلا فرب العزة هو القائل فى نفس سورة النحل، وقبل هذه الآية قال : ﴿**ليبين لهم الذى اختلفوا فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين**﴾[2] وقال سبحانه : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾[3] وقال عز وجل : ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه**﴾[4] فتلك ثلاث آيات كريمات فى نفس سورة النحل، وسابقة لآية ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ**﴾ والثلاث آيات تسند صراحة مهمة التبيين إلى نبيه ﷺ، فهل يعقل بعد ذلك أن يسلب الله عز وجل هذه المهمة – التبيين – التى هى من مهام الرسل جميعاً كما قال: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾[5]ويوقع التناقض بقوله: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ**﴾ وقوله : ﴿**وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً**﴾ ؟!0

إن كل الرافضين لمهمة رسول الله البيانية، لابد أن يلتزموا بهذه النتيجة التى تعود بالنقض على الإيمان بالكتاب، وبمن أنزل الكتاب جل جلاله، سواء أقروا بلسانهم بهذا النقض أم لا، وتنبهوا إلى ذلك أم لا؟!!0

ويجدر بى هنا أن أشير إلى ما قاله الحافظ ابن حجر مبيناً المراد من الأحاديث والآثار المؤذنة بالاقتصار على كتاب الله عز وجل. نحو قوله ﷺ : **"وقد**

---

1 () ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/513 0
2 () الآية 39 النحل 0
3 () الآية 44 النحل 0
4 () الآية 64 النحل 0
5 () الآية 4 إبراهيم 0

تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله"[6] وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما حضر رسول الله ﷺ، وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبى ﷺ : **"هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده"** فقال عمر : إن رسول الله ﷺ، قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله"[2] وأشباه هذا مما روى مرفوعاً وموقوفاً، بالاقتصار على القرآن فقط 0

يقول الحافظ : "الاقتصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شئ، إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب، عملوا بكل ما أمرهم النبى ﷺ، به لقوله تعالى : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[3] وهذا الذى قاله الحافظ رحمه الله، يؤكد ما سبق ذكره 0

ومما هو جدير بالذكر هنا. أن الكلام السابق للحافظ، نقله مبتوراً جمال البنا حيث قال : "التمسك بالقرآن والعمل بمقتضاه، إشارة إلى قوله ﷺ : **"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله"** وترك جمال البنا، بيان أن العمل بالقرآن الكريم يقتضى العمل بالسنة كما صرح ابن حجر[4]0

وهذا ما فعله أيضاً أحمد صبحى منصور. حيث نقل كلام الحافظ ابن حجر الذى نقلته، وبتر منه لفظه (النبى ﷺ) فصارت العبارة : "فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به"[5] وإذا تقرر لك هناك أن لرسول الله ﷺ، فى رسالته مهمة غير التبليغ وهى تبيين القرآن الكريم، الملازم للمهمة الأولى وهى تبليغه. فاعلم أن لرسول الله ﷺ، حكم فى رسالته، جعله ربه من مهام رسالته 0

3- قال تعالى : ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾[6] فبين ربنا سبحانه أنه أنزل الكتاب إلى رسوله ﷺ،

---

1 () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب حجة النبى 432 ﷺ 4/431 ﷺ [illegible]

2 () سبق تخريجه ص 235 0

3 () جزء من الآية 7 الحشر. وينظر : فتح البارى 5/425 رقم 2740 حديث عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه، وينظر : الموافقات للشاطبى 3/274 – 276 0

4 () السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 246 0

5 () حد الردة ص 89 0

6 () الآية 105 النساء 0

ليحكم بين الناس بما ألهمه الله وأرشده، وإذا كان الحكم بالقانون، غير سن القانون فإن حكم رسول الله ﷺ، بما جاء فى القرآن من تشريعات، فضلاً عن تبيينه بالسنة، هو أمر زائد على مجرد البلاغ لهذه التشريعات 0 وتحكيمه ﷺ فى كل شئون حياتنا، والرضى بحكمه، والتسليم به، جعله رب العزة علامة الإيمان كما قال : ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾[1] وما ذلك إلا لأن حكمه ﷺ، وحى من الله واجب الاتباع لقوله ﴿**بما أراك الله**﴾ وعلى هذا الفهم صحابة رسول الله ﷺ، ومن بعدهم، يدل على ذلك قول عمر رضى الله عنه وهو على المنبر : "يا أيها الناس إن الرأى إنما كان من رسول الله ﷺ، مصيباً لأن الله عز وجل كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف"[2] لقد قال عمر ذلك على المنبر، ولم يعترض عليه أحد من الحاضرين، لا من الصحابة، ولا من التابعين، مما يدل على أنهم جميعاً يعلمون أن لرسول الله حكم فى رسالته هو من ربه، وهو أمر زائد على مجرد البلاغ!0

3- وقال تعالى : ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين**﴾[3] إن الله عز وجل فى هذه الآية الكريمة، يمتن على هذه الأمة، ببعثه رسول الله ﷺ، من أنفسهم، وأنه جاء ليس لمجرد بلاغ وتلاوة القرآن الكريم فقط – كما يزعم أعداء الإسلام؛ وإنما جاء مع بلاغ القرآن وتلاوته؛ جاء بتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة 0

وهذه التزكية والتعليم من مهامه ﷺ فى دعوته، مع بلاغه للقرآن وبيانه لما فيه، وحكمه به. وبهذه المهمة (التزكية والتعليم) تكون هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور 0

5- قال تعالى : ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**﴾[4] أى من ظلمات الكفر والجهل والضلالة، إلى نور الإيمان والعلم

---

1 () الآية 65 النساء 0

2 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأقضية باب قضاء القاضى إذا أخطأ 3/302 رقم 3556، والبيهقى فى السنن الكبرى 10/117، والمدخل له ص 189 رقم 210، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/164، والبزار ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 6/145، 146، وسكت عنه الحافظ فى فتح البارى 5/408 رقمى 2731، 2732 0

3 () الآية 164 آل عمران 0

4 () الآية الأولى إبراهيم 0

والهداية[1] وقال سبحانه : ﴿**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾[2] فأسند الهداية إليه ﷺ، مما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام بكل ما جاء به من عند الله عز وجل، يهدى إلى صراط مسقيم 0

وتأمل قوله "لتخرج" وقوله "تهدى" إنه سبحانه اسند الفعلين إليه ﷺ وفى ذلك دلالة على أن ذلك من مهام رسالته التى كلفه بها، مع بلاغه للقرآن وتبيينه لما فيه، وحكمه بين الناس وتزكيته وتعليمه لأمته؛ وكل ذلك ينكره أعداء هذه الأمة 0

إن زعم أعداء السيرة العطرة، أن رسول الله ﷺ، مهمته الوحيدة، تبليغ القرآن فقط، وإنكارهم مهمته البيانية للقرآن الكريم، يعد هذا الزعم منهم طعناً فى عصمته ﷺ فيما بلغه من وحى السنة المطهرة، وطعناً منهم أيضاً فى عصمته فى رجاحة عقله وكماله، لأنهم فى كتاباتهم المفتراه، يقدمون رؤيتهم القرآنية بياناً، وتفسيراً، ومفهوماً لآيات القرآن الكريم 0

فكيف ينكرون أن يكون لرسول الله ﷺ [illegible]

ومن هنا لما قال رجل لمطرف بن عبد الله[3] : لا تحدثونا إلا بما فى القرآن قال مطرف: إن والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا"[4]0

ويقول جابر بن عبد الله يصف حج النبى ﷺ، : "فصلى رسول الله ﷺ، فى المسجد ثم ركب القصواء[5] حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شئ عملنا به.." الحديث[6]0

---

1 () فتح القدير 3/93 0

2 () الآية 52 الشورى 0

3 () هو : مطرف بن عبد الله بن الشخير العمرى، أبو عبد الله، من كبار التابعين، ثقة، عابد، فاضل، مات سنة 95هـ له ترجمة فى : تقريب التهذيب 2/188 رقم 6728، ومشاهير علماء الأمصار ص 113 رقم 645، والكاشف 2/269 رقم 5478، وخلاصة تهذيب الكمال ص 249، والثقات للعجلى ص 431 رقم 1586 0

4 () أخرجه أبو خيثمة فى العلم ص 25 رقم 97، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/191، والحازمى فى الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ ص 100 0

5 () القصواء : الناقة التى قطع طرف أذنها، ولم تكن ناقته ﷺ [illegible]

6 () جزء من حديث طويل، أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب حجة النبى 4/431 ﷺ

فتأمل قول الصحابى : "ورسول الله بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله" إنه ، هو الذى علمه الله القرآن، وكل ما من شأنه أن ييسر العمل به، فعلمه تأويله، وأراه ما به يتم الدين 0

إن مقتضى إيمانهم برسالته ، أن يسألوه ويحكموه عن كل ما بدا لهم؛ إنهم يعلمون أنه رسول الله ، يأتيه الوحى فى أى وقت بالقرآن وتأويله، وبكل ما يتصل ببيان الدين، ومن هنا سألوا واستفسروا وأجابهم ، بما به بين، ووضح، وأفاد وأجاد[1] حتى قال : **"قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيع عنها بعدى إلا هالك"**[2]0

إن تأويل وتفسير، رسول الله ، للقرآن الكريم، هو فريضة قرآنية، وتكليف إلهى للنبى - زائد على مجرد بلاغه – وليس فضولاً ولا تزايداً، ولا إضافة يمكن الاستغناء عنها لقوله تعالى : **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**[3] فكيف ينكرون هذا التبيان النبوى للبلاغ القرآنى، بينما يمارسون هم شرح وتفسير آيات القرآن؟ أهذا معقول؟ فضلاً عن أن يكون مقبولاً؟!!0

إن رسول الله ، بنص الآيات الكريمات السابق ذكرها، مبلغ، ومبين، وحاكم، ومزكى، ومعلم، وهادى إلى صراط مستقيم، وليس مجرد ساعى بريد؟!0

وبعد : إذا تقرر أن من مهام رسول الله ، فى رسالته بيان القرآن الكريم، والمسلمون جميعاً يعلمون ذلك، ويسلمون به، يبقى توضيح أن البيان النبوى هو الحكمة،وهى السنة المطهرة التى ينكرها أعداء الإسلام، ويزعمون أن سنته الحقيقية هى القرآن فقط 0

---

1 () المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 129 0

2 () جزء من حديث طويل أخرجه ابن ماجه فى سننه المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 1/29 رقم 43، وأحمد فى مسنده 4/126، والحاكم فى المستدرك 1/174 رقم 329 وقال : صحيح ليس له علة ووافقه الذهبى، وأخرجه ابن أبى عاصم فى كتابه السنة 1/26 رقم 48، والألكائى فى شرح أصول الاعتقاد 2/74،وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/221 من حديث العرباض بن ساريه رضى الله عنه، وأورده الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير 2/90 وصححه بعد أن عزاه لأحمد، وابن ماجه، والحاكم 0

3 () الآية 44 النحل 0

فإلى بيان شبهتهم فى المطلب التالى والرد عليها

المطلب الثانى
شبهة أن رسول الله ليست له سنة نبوية
والرد عليها

زعم أعداء السنة النبوية، أن رسول الله ، ليست له سنة، وأن سنته الحقيقية هى القرآن الكريم فقط، وزعموا أن القول بأن له سنة نبوية، تشويه لسيرته، وتجعله مشرعاً0

يقول إسماعيل منصور : "إن السنة الحقة، هى سنة واحدة، سنة الله عز وجل، وليست هناك سنة أخرى غيرها، وإنما للرسول، بيان نبوى للقرآن، نرفعه على العين والرأس، متى ثبت تحقيقاً، لا يخالف بأى حال أحكام ومدلولات القرآن الكريم، فنقبله كبيان فحسب، وليس تشريعاً مستقلاً"[1]0

ويقول أحمد صبحى منصور : "إن تلك الأحاديث المذكورة فى كتب التراث ليست من الوحى، الذى نزل على النبى، وليس هناك فى الإسلام حديث إلا حديث الله تعالى فى القرآن، أما تلك الأحاديث التراثية، وأسفارها، فلا أول لها ولا آخر، وهى تتناقض حتى فى الكتاب الواحد، وربما فى الصفحة الواحدة وتخالف القرآن مثل الرجم وحد الردة"[2]0

ويقول صالح الوردانى : "وإذا ما تبين لنا أن مهمة الرسول ، هى تبليغ ما يوحى إليه من ربه، فلا يجوز للرسول أن يضيف أحكاماً فوق أحكام القرآن، فمهمته تنحصر فى تبليغ القرآن وتبيينه للناس، وتنتهى هذه المهمة بوفاته"[3]

ويقول أيضاً : "الروايات المنسوبة للرسول، والتى تضيف على لسانه أحكاماً جديدة، وتخترع أحكاماً لا وجود لها فى القرآن تضع الرسول فى دائرة المشرع"[4]0

---

1 () بلوغ اليقين بتصحيح مفهوم ملك اليمن ص 21، 24 وينظر : مجلة المنار المجلد 9/908، 924 مقال الدكتور توفيق صدقى (الإسلام هو القرآن وحده)0

2 () مشروع التعليم والتسامح لأحمد صبحى وغيره ص 282، 287، 293 وينظر له أيضاً : لماذا القرآن ص 68، 70 – 78، ولا ناسخ ولا منسوخ فى القرآن ص 39، وعذاب القبر والثعبان الأقرع ص 5، 16، وحد الردة ص 40، 89، ومقدمة أحمد صبحى لكتاب إعادة قراءة القرآن لجاك بيرك ص 25، 26 0

3 () الخدعة رحلتى من السنة إلى الشيعة ص 40، 41، وينظر : له أيضاً أهل السنة شعب الله المختار ص 79، 80 0

4 () دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ص 129، وينظر : المواجهة مع رسول الله لأحمد حسين يعقوب ص 306،والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص 253، 254، وينظر لها مقال فى جريدة الجيل العدد 33 بتاريخ 13/6/1999، والإسلام فى الأسر للصادق النيهوم ص 138 –= =140، والصلاة لمحمد

ويجاب عن ما سبق بما يلى :

أولاً : سبق فى المطلب السابق تفصيل أن لرسول الله فى رسالته مهمة ووظيفة، زائدة على مجرد البلاغ، وهى مهمة تبيان القرآن الكريم، وهذه المهمة تضاربت فيها أقوال من يسمون أنفسهم "القرآنيون". فبينما تجد بعضهم فيما سبق يجحد هذه المهمة من أصلها، ترى هنا بعضهم يؤمن بها، وبمفهومه الخاص، القائم على إنكار أن يكون لرسول الله فى رسالته، وحى غير متلو – السنة المطهرة 0

ثانياً : إذا تقرر لك بالدليل القاطع أن لرسول الله تبياناً للقرآن الكريم، فاعلم أن لهذا التبيان صفة المبين، من حيث وجوب قبوله، ووجوب العمل به، وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ ويستلزم هذا ضرورة أن هذا التبيان النبوى، هو الحكمة وهى السنة النبوية التى عبر عنها رسول الله بقوله : **"ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه"**[1]0

وبناء الفعل للمجهول "أوتيت" يدل على أن الله تعالى، أعطى لرسوله ، القرآن ومثله معه، فما هو المماثل الذى تلقاه رسول الله عن ربه؟ يصرح القرآن الكريم بأن هذا المماثل هو "الحكمة" التى قرنها رب العزة فى كتابه مع القرآن الكريم فى آيات عدة منها :

1- قوله تعالى : **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً**[2] فالآية والحديث يفيدان أن الله تعالى، أنزل عليه ، الكتاب والحكمة، مثل القرآن، وهى معه، آتاهما الله له ، بل إن إحدى روايات هذا الحديث تتواءم مع الآية أكثر من هذه الرواية، ونصها : **"أتانى الله عز وجل القرآن، ومن الحكمة مثليه"**[3]0

2- وقال تعالى : **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة**[4] فعطف الحكمة على آيات الله، لتندرج تحت ما أضيف إليها وهو "التلاوة" وهذا يضفى على الحكمة – وهى السنة – أنها فى حجيتها، ووجوب تبليغها، كالقرآن سواء بسواء[5]0

نجيب ص 276، 662، وحقيقة السنة لأحمد حجازى السقا ص 7، 9، 13، 14، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 568، والدولة والمجتمع ص 232، كلاهما لمحمد شحرور، والإمام الشافعى لنصر أبو زيد ص 83، 90، وجريدة الجيل العدد 35 مقال لمحمد شبل 0

1 () سبق تخريجه ص 13 0

2 () الآية 113 النساء 0

3 () هذه رواية مكحول عن رسول الله [illegible]

4 () الآية 34 الأحزاب 0

5 () السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص 44 0

3- وقال تعالى : ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾[1] قال الإمام الشافعى[2] : "فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة[3] سنة رسول الله ﷺ، قال : وهذا يشبه ما قال، والله أعلم؛ لأن القرآن ذكر واتبعته الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز – والله أعلم – أن يقال الحكمة ههنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله"[4]0

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "الكتاب والحكمة" الكتاب والسنة[5] وعن قتادة قال: والحكمة أى السنة[6] ونفس القول قال به غيرهما[7] وعلى هذا الفهم سلفنا الصالح من أئمة المسلمين[8]0

---

1 () الآية 164 آل عمران 0

2 () هو : أبو عبد الله، محمد بن أدريس بن العباس بن شافع القرشى المطلبى، الإمام الجليل صاحب المذهب المعروف، من أشهر مصنفاته : الأم، والرسالة، وأحكام القرآن، مات سنة 204هـ له ترجمة فى : طبقات الشافعية لابن السبكى 2/71 رقم 14، وشذرات الذهب 2/9، ووفيات الأعيان 4/164 رقم 558، وطبقات الفقهاء للشافعيين لابن كثير 1/3 – 93 0

3 () الحكمة : تطلق فى اللغة على عدة معان سبق ذكر بعضها ص 258، ولقد اقتصرت على المعنى المراد فى الآيات التى استدل بها 0

4 () الرسالة للشافعى ص 78، 79 فقرات رقم 252 – 257، والفقيه والمتفقه للخطيب 1/258 رقم 256، وينظر : مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى ص 150 0

5 () أخرجه ابن المبارك فى زيادات الزهد ص 22 رقم 89 0

6 () تفسير الطبرى 1/557، والفقيه والمتفقه للخطيب 1/260 رقم 258، وابن المبارك فى زيادات الزهد ص 22 رقم 90 0

7 () ينظر : المدخل إلى السنن للبيهقى، حيث نقل بأسانيده عن الحسن البصرى، وقتادة، ويحيى بن أبى كثير، أنهم قالوا : الحكمة : هى السنة النبوية 0

8 () ينظر : كلام الإمام الطبرى فى تفسيره 4/163، 22/ 9، وابن قيم الجوزية فى مختصر الصواعق المرسلة 2/511، وللاستزادة ينظر : السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص 32 – 46، والمدخل إلى السنة للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 50، 51 0

ثالثاً : إذا تقرر أن تبيان رسول الله للقرآن الكريم هو الحكمة، وأن هذه الحكمة هى السنة النبوية، وأنها متماثلة للقرآن كما قال رسول الله ، فهذا يعنى أنها مثل القرآن فى وجوب قبولها، والعمل بها، سواء بسواء؛ لأنها مثل القرآن وحى من عنده تعالى، وإليك تفصيل أدلة ذلك :

أ- الأدلة من القرآن الكريم على أن السنة وحى من الله تعالى :

1- قال تعالى : **وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى**[1] فأعلمنا ربنا سبحانه وتعالى، أن رسوله ، لا ينطق عن هوى وغرض، وإنما ينطق حسبما جاءه الوحى من الله تعالى 0

فكلمة "ينطق" فى لسان العرب تشتمل كل ما يخرج من الشفتين من قول أو لفظ[2] أى ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل[3]0

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء، والفعل إذا وقع فى سياق النفى دل على العموم،وهذا واضح فى إثبات أن كلامه ، محصور فى كونه وحياً لا يتكلم إلا به، وليس بغيره 0

2- وقال سبحانه : **ثم إن علينا بيانه**[4] إنه وعد قاطع بأن بيان القرآن، سوف يتولاه الله تعالى، كما تولى **إن علينا جمعه وقرآنه**[5] على حد سواء، ولا معنى لهذا سوى أن يوحى إلى رسوله ، هذا البيان، بصورة ما من صور الوحى 0

3- وقال عز وجل : **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**0[6]

4- وقال تعالى : **واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به**[7] إن هاتين الآيتين تفيدان – أن الله تبارك وتعالى – أنزل على رسوله شيئين : الكتاب : وهو القرآن، والحكمة : وهى سنته 0

السنة المطهرة إذن "وحى من الله تعالى" أنزلها على رسوله ، كما أنزل القرآن الكريم، سواء بسواء[8] بشهادة القرآن البينة، وهى أيضاً وحى بشهادة السنة نفسها، وإليك شواهد ذلك :

---

1 () الآيتان 3، 4 النجم 0
2 () ينظر : القاموس المحيط 3/277، ومختار الصحاح ص 666، ولسان العرب 10/354 0
3 () جامع أحكام القرآن 17/ 84، 85 0
4 () الآية 19 القيامة 0
5 () الآية 17 القيامة 0
6 () الآية 113 النساء 0
7 () الآية 231 البقرة 0

ب- الأدلة من السنة النبوية على أنها وحى من الله تعالى :

1- قوله ﷺ : **"ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه"** وقد سبق قريباً بيان دلالته على أن السنة وحى 0

2- قوله ﷺ : لما سئل فى عام جدب : سعر لنا يا رسول الله. قال : **"لا يسألنى الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرنى بها، ولكن اسألوا الله من فضله"**[1] إن فى الحديث دلالته الصريحة فى أنه ﷺ، لا يحدث أى سنة، وإنما يبلغ عن الله تعالى، ما أمره به عز وجل. مما يدل على أن السنة المطهرة، إنما تأتيه بوحى الله سبحانه 0

3- وقوله ﷺ : **"رأيت ما تعمل أمتى بعدى فاخترت لهم الشفاعة يوم القيامة"**[2]0

4- وقوله ﷺ : **"قمت على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد[3] محبوسون، إلا أصحاب النار، فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء"**[4]0

إن هذين الحديثين، وما فى معناهما، مما يفيد أن الله تعالى أرى نبيه ﷺ، كذا وكذا، يأتى تأكيداً لقوله تعالى : ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**0[5]﴾

---

8 () وإن غايرت وحى القرآن الكريم بأمور إن شئت أنظرها فى : الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى 4/331 0

1 () أخرجه الطبرانى فى الكبير بإسناد رجاله ثقات، سوى بكر بن سهل الدمياطى فإنه ضعفه النسائى، ووثقه غيره، كذا فى مجمع الزوائد 4/100 من حديث عبيد بن نضيلة، وللحديث شاهد عن أبى هريرة وأنس رضى الله عنهما أخرجهما أبو داود فى سننه كتاب البيوع، باب فى التسعير 3/272 رقمى 3450، 3451، وأحمد فى المسند 3/85 عن أبى سعيد الخدرى، ورجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 4/99 0

2 () أخرجه أبو يعلى فى مسنده ضمن مسند أم سلمة 12/ 382 رقم 6949، وسكت عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد 10/371. قلت : لكن أصل حديث الشفاعة فى الصحيحين وغيرهما أهـ 0

3 () أى أصحاب الغنى، والحظوظ الدنيوية، وإنما حبسوا للحساب. ينظر : النهاية 1/237 0

4 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء 9/62 رقم 2736، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب النكاح، باب رقم 87 جـ 9/209 رقم 5196، من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه 0

5 () الآية 105 النساء 0

فتأمل قوله تعالى : ﴿**بما أراك الله**﴾ وكل الأحاديث الصحيحة التى جاء فيها أن الله أطلع نبيه ﷺ، وأراه ما أراه، تعلم أن السنة النبوية وحى من الله تعالى إلى رسول الله 0 ﷺ

5- حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه النبى ﷺ، عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، والساعة، ففى نهايته قال ﷺ : **يا عمر! أتدرى من السائل؟** قلت الله ورسوله أعلم. قال : **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"**[1]0

6- عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : **"ما حملكم على إلقائكم نعالكم**؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ، **إن جبريل عليه السلام أتانى فأخبرنى أن فيها قذراً"** وقال : **إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى فى نعليه قذراً أو أذى فليمسحه، وليصل فيهما"**[2] وهكذا يراقبه الوحى، فإذا أصاب نعله شئ من النجاسة نبهه 0

وبالجملة : فالأحاديث التى قالها رسول الله ﷺ، فتحققت وفق ما أخبر، هذه يعترف العقل أنها لابد من وحى الله إليه ﷺ[3] والأحاديث التى تحدث فيها عن أخبار السابقين، وهو الصادق المصدوق ناطقة بأنها من وحى الله إليه، فما الذى أعلمه أخبار الأمم السابقة، وأنبيائها، إلا الوحى من الله تعالى إليه؟[4]0

والأحاديث التى تحدث فيها عن سنن الله الكونية، وأسرار الخليقة، كتحدثة عن تكوين الجنين فى بطن أمه، وأنه كيف يشبه أخواله أو أعمامه، وتحدثه عن الكثير من أسباب الصحة، فيحذر من امتلاء البطن، ويحث على النظافة، هذه مما يسلم العقل أنها من وحى الله تعالى إليه 0[5]ﷺ

---

1 () سبق تخريجه ص 255 0

2 () سبق تخريجه ص 19 0

3 () ينظر : أمثلة على ذلك فى : دلائل النبوة لأبى نعيم 2/464 – 536، ودلائل النبوة للبيهقى 6/312،والخصائص الكبرى للسيوطى 2/168، ومعجزات الرسول ﷺ [illegible]

4 () ينظر : أمثلة على ذلك فى : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب بدء الخلق 6/330، وكتاب الأنبياء 6/416، وغير ذلك من المصادر السابقة 0

5 () ينظر : الطب فى السنة للدكتور محمد السنهورى فصل "القواعد الطبية العامة المستنبطة، ص 154 – 196، وفصل "الطب الوقائى فى السنة" ص 197، وفصل : :"سبق السنة إلى

ومن أقوى الأدلة على أن السنة من وحى الله الخالق سبحانه إلى رسول الله ﷺ؛ أن السنة على كثرة أحاديثها، وذيوعها وانتشارها، لا يجد فيها العقلاء إلا الحق الذى يسعد البشرية فى كل ناحية من نواحى الحياة، فى صحتها، فى اجتماعيتها، فى اقتصادها، فى نسلها، فى عقلها، فى كل شئون حياتها 0

إن أحاديث رسول الله ﷺ، منذ أن قالها إلى الآن تنهل البشرية من خيرها وصوابها، يعترف بذلك المسلون، والمنصفون من غير المسلمين وهذا دليل قوى على أنها وحى الله سبحانه وتعالى، إلى رسول الله 0[1] ﷺ

جـ- السلف يؤمنون بأن السنة وحى :

وإنى قد ذكرت الأدلة من كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، على أن السنة وحى من الله إلى رسوله، فإنى أزيد ذلك توضيحاً ورسوخاً بإيراد أقوال بعض السلف، بما يفيد أن السنة النبوية وحى من الله عز وجل، إلى رسول الله 0ﷺ

1- فعن حسان بن عطية[2] قال : كان جبريل ينزل على النبى ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن[3] ونحو هذا القول روى عن الأوزعى[4]0

مفاهيم طبية سبقت بها لعصر" ص 197 – 250، وينظر : الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية للأستاذ مختار سالم، والطب الوقائى فى الإسلام للعميد الصيدلى عمر محمود عبد الله، والطب النبوى فى العلم الحديث للدكتور محمود النسيمى 0

1 () المدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 61 0

2 () هو : حسان بن عطية المعاربى، أبو بكر الدمشقى، ثقة، فقيه، عابد، ومن أفاضل أهل زمانه، مات بعد العشرين ومائة بعد الهجرة. له ترجمة فى : تقريب التهذيب 1/199 رقم 1028، والكاشف 1/320 رقم 1004، والثقات للعجلى ص 112 رقم 269، وحلية الأولياء 6/70 رقم 330، وصفوة الصفوة 4/222 رقم 755 0

3 () أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله 1/153 رقم 588، والخطيب فى الفقيه والمتفقه 1/266 رقمى 268، 269، وابن المبارك فى زيادات الزهد ص 23 رقم 91، والمروزى فى السنة ص 32 رقم 102، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/191، وأبو داود فى المراسيل ص 167 رقم 567، ورجال الخطيب فى أحد أسانيده برقم 268 كلهم ثقات – فالإسناد صحيح 0

2- وعن عبد الله بن المبارك[1] قال : كان جبريل إذا نزل بالقرآن على النبى يأخذه كالغشوة، فيلقيه على قلبه، فيسرى عنه وقد حفظه فيقرؤه، وأما السنن فكان يعلمه جبريل ويشافهه بها[2]0

3- وعن عمر بن عبد العزيز[3] قال فى إحدى خطبه : "يا أيها الناس، إن الله لم يبعث بعد نبيكم نبياً، ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذى أنزله عليه كتاباً، فما أحل الله على لسان نبيه ، فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسان نبيه ، فهو حرام إلى يوم القيامة..."[4]0

وقال أيضاً : "سن رسول الله ، وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر فى شئ خالفها، من اهتدى بها فهو المهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولاه، وأصلاه جهنم، وساءت مصيراً"[5]0

فتأمل ما قاله خامس الخلفاء الراشدين على ملأ من الحاضرين لخطبته : "فما أحل الله على لسان نبيه ، فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم... الخ،

---

4 () أخرجه الخطيب فى الفقيه 1/267 رقم 270، وفيه إسحاق بن إبراهيم قال فيه الدارقطنى ليس بالقوى تاريخ بغداد 6/381 فالإسناد ضعيف لكن يعضده ما سبق من الروايات 0

1 () هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم، أبو عبد الرحمن، أحد الأئمة الأعلام، وكان ثقة، عالماً، متثبتاً صحيح الحديث. مات سنة 181هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 1/274 رقم 260، والثقات لابن حبان 7/7، والديباج المذهب لابن فرحون ص 212 رقم 261، وطبقات المفسرين للداودى 1/250 رقم 232 0

2 () أخرجه المروزى فى السنة ص 34 رقم 112 0

3 () هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى، أمير المؤمنين، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولى إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولى الخلافة بعده، فعد من الخلفاء الراشدين، مدة خلافته سنتان ونصف، مات سنة 101هـ له ترجمة فى : طبقات الحفاظ للسيوطى ص 53 رقم 101، وتقريب التهذيب 1/722 رقم 4956، ومشاهير علماء الأمصار ص 209 رقم 1411 0

4 () أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب ما يتقى من تفسير حديث النبى [illegible] 1/126

5 () الشريعة للآجرى ص 48، 65، وجامع بيان العلم لابن عبد البر 2/186، 187 0

وقوله : "الأخذ بما سن رسول الله ﷺ... اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله...الخ. تأمل ذلك تعلم عن يقين إيمان السلف جميعاً، بأن سنة رسول الله ﷺ، وحى من عند الله عز وجل، واجبة الاتباع إلى يوم الدين 0

وهكذا توضح الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف أن السنة النبوية وحى من الله تعالى، إلى رسوله ﷺ، وهى صالحة لكل زمان ومكان، وواجبه الاتباع كالقرآن سواء بسواء، وعلى ذلك إجماع الأمة[1] منذ عهد نبيها ﷺ، إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، دون اعتبار لقول من شذ، من المرجفين فى دين الله، العاملين على هدم كيان السنة المطهرة، والسيرة العطرة 0

رابعاً : إذا تقرر لك أن لرسول الله ﷺ، سنة، هى وحى من ربه عز وجل، واجب قبولها واتباعها، فقد حان الوقت لبيان حقيقة وهدف تمسح أعداء السنة، بإيمانهم ببيان نبوى لرسول الله ﷺ فى رسالته 0

إن من يتسترون بعباءة القرآن، ويستدلون بظاهره، على أن مهمة الرسول الوحيدة هى تبليغ القرآن فقط، وجدوا أنفسهم فى مأزق من القرآن الكريم، حيث يصرح بتبيان لرسول الله ﷺ فى رسالته زائد على مجرد البلاغ، فاعترف بعضهم بهذا التبيان، إلا أنهم لا يعترفون بأن هذا التبيان، المراد به الحكمة، والتى فسرت بأنها سنة رسول الله ﷺ، وأنها بوحى من الله تعالى على ما سبق قريباً ومن هنا كان إيمانهم بهذا التبيان النبوى إيماناً كاذباً من وجهين :

الوجه الأول : أنهم يشترطون لهذا البيان النبوى أن يوافق القرآن الكريم بمفهومهم هم، القائم على إنكار السنة المطهرة؛ بدليل أنهم ينكرون جميع أنواع بيان السنة للقرآن؛ من تأكيد السنة لما جاء فى القرآن الكريم، وتفصيل لمجمله، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعامه، وتوضيح لمشكله، سواء كان هذا البيان فى العبادات من طهارة، وصلاة، وزكاة، وحج، أو فى المعاملات من بيع وشراء، ورهن، وسلم... الخ أو فى الحدود من قطع، ورجم،... الخ، أو فى الأحوال الشخصية من نكاح، وطلاق، ورضاع، وميراث. وغير ذلك[2]0

---

1 () ينظر : إرشاد الفحول للشوكانى 1/158، وتيسير التحرير لمحمد أمين 3/22، والتقرير والتحبير لابن أمير الحاج 2/225، والتلويح فى كشف حقائق التنقيح لسعد الدين التفتازانى 1/38، وفواتح الرحموت لعبد العلى الأنصارى 1/16، 17 0

2 () ينظر : تفصيل كل ما سبق بأمثلته فى : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 125 – 466، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 135 – 148، ومنزلة السنة فى التشريع الإسلامى للدكتور محمد الجامى ص 22 – 30 0

وبالجملة : ينكرون جميع أنواع بيان رسول الله ، لما اشتمل عليه القرآن الكريم، من عقائد وأحكام فى الدين والدنيا[1]0

والوجه الثانى : أنهم حتى مع تظاهرهم بالإيمان بالبيان النبوى؛ فقيمة هذا الإيمان كعدمه. وتأمل كلام إسماعيل منصور بعد قوله السابق : "أن لرسول الله، بيان نبوى للقرآن، نرفعه على العين والرأس، متى ثبت تحقيقاً، لا يخالف بأى حال، أحكام ومدلولات القرآن الكريم...الخ[2] قال فى وصف قيمة هذه السنة البيانية : "إنها للاستئناس لا للاستدلال، وللبيان لا للإثبات، الأمر الذى يجعل الآخذين بها والرافضين لها، أمام الشرع على حد سواء. فلا إلزام لأى طرف منهما على قبول رأى الآخر، فالأخذ بها فعله مقبول، والرافض لها فعله مقبول كذلك"[3]0

قلت : فإذا كان هذا البيان لكتاب الله، الآخذ به والرافض له سواء! فأى قيمة لهذا البيان، حتى لو اعترفوا بأن هذا البيان هو السنة؟!0

وتأمل أيضاً ما قاله عبد العزيز الخولى : "وأما ما ورد فى السنة من أحكام ، فإن كان مخالفاً لظاهر القرآن، فالقرآن مقدم عليه، ويعتبر ذلك طعناً فى الحديث من جهة متنه ولفظه، وإن صح سنده، فإن الحديث لا يكون حجة إلا إذا سلم سنده ومتنه من الطعن، ولذلك أجاز بعض المسلمين[4] نكاح المرأة على عمتها أو خالتها... إلى أن قال: "وإن كل ما فى السنة لا يخالف ظاهر القرآن، فهو اجتهاد من الرسول، يرجع إلى أصل قرآنى عرفه الرسول، وجهلناه نحن أو عرفناه"[5] فتأمل قوله فى البيان النبوى : "وجهلناه نحن أو عرفناه" إذ العبرة عنده فى أول الأمر وآخره، هى : ظاهر القرآن، سواء عرف السنة البيانية أم جهلها، فهى فى حالة معرفته بها، لم تضف جديداً،وفى هذه الحالة العبرة بالقرآن، وفى حالة استقلالها بتشريع أحكام جديدة، تكون السنة مخالفة لظاهر القرآن؛ فلا حجة فيها. هكذا حال لسانه! ولا أدرى من أين فهموا

---

1 () يراجع : مصادرهم السابقة ص 327 – 328 0
2 () يراجع : ص 339 0
3 () تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 663 0
4 () صرح فى هامش كتابه مفتاح السنة ص 7، بأنهم الخوارج، والشيعة، والروافض فهل هؤلاء مسلمون؟!! ينظر : نيل الأوطار للشوكانى 6/148 حيث نقل عن الإمام القرطبى إجماع المسلمين على التحريم، واستثنى الخوارج. قال : ولا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين أهـ 0
5 () مفتاح السنة ص 6 – 11 0

قيمة هذا البيان النبوى للقرآن الكريم؟ حيث أن آيات القرآن الكريم السابق ذكرها، والتى تسند مهمة البيان، تصرح بأن هذا البيان وحى من الله عز وجل : **﴿ثم إن علينا بيانه﴾** [1] **﴿إن أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** [2] وغير ذلك من الآيات[3]0

فهل فى الإسلام، وحى واجب الاتباع؛ ووحى الآخذ به، فعله مقبول والرافض له، فعله مقبول أيضاً؟!!0

وإذا كان هذا البيان النبوى يحل مشاكل الاختلاف التى يمكن أن تحدث بين العباد، فى فهم وتطبيق، المراد من مجمل القرآن، وعامة، ومطلقة، ومشكلة... الخ كما صرح بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : **﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾**[4]0

فهل يعقل أو يقبل بعد ذلك أن يكون هذا البيان النبوى غير ملزم؛ ولا واجب الاتباع؟! وما فائدة تنويه القرآن إلى هذا البيان النبوى حينئذ؟! وما قيمة المبين (القرآن) مع عدم حجية البيان (السنة)؟ إن البيان النبوى (السنة المطهرة) متى صح تكون منزلته، ومنزلته القرآن، سواء بسواء فى حجيته، ووجوب العمل به؛ وعلى هذا انعقد إجماع من يعتد به من علماء الأمة قديماً وحديثاً[5]0

خامساً : زعم بعضهم أن ما استقلت به السنة المطهرة من أحكام، مرفوض بحجة مخالفته للقرآن الكريم، وفيه تشويه لسيرة رسول الله ﷺ بجعله مشرعاً[6] ويضربون أمثلة بحد المحصن "الرجم" وحد الردة "القتل"0

وهذه المزاعم يجاب عنها بما يلى :

I- يتفق العلماء أجمع على وجود أحكام، لم ترد فى القرآن، لا نصاً ولا صراحة، ولكنهم يختلفون خلافاً لفظياً، حول تسمية تلك الأحكام الواردة فى السنة. فالجمهور من العلماء يقولون: إن هذا هو الاستقلال فى التشريع بعينه؛ لأنه إثبات لأحكام لم ترد فى القرآن، وأن هذه الأحكام واجبة الاتباع،

---

1 () الآية 19 القيامة 0

2 () الآية 105 النساء 0

3 () يراجع : ص 342، 343 0

4 () الآية 640 النحل مع آية 39 من نفس السورة [illegible]0

5 () ينظر : منزلة السنة من الكتاب للأستاذ محمد سعيد منصور ص 469، 470، وحجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 444، 445 0

6 () يراجع : كلام صالح الوردانى ص 339 0

عملاً بعشرات الآيات التى تأمر بطاعة رسول الله ، واتباعه، وتحذر من مخالفته، وهذه الآيات جميعها[1] تستلزم أن يكون هناك أمور من الدين تأتى بها السنة، وهى حجة، وإلا فلا معنى للأمر بطاعته 0

أما الإمام الشاطبى[2] ومن نحا نحوه : فإنهم مع إقرارهم بوجود أحكام لم ترد فى القرآن إلا أنهم يقولون : إنها ليست زيادة على شئ ليس فى القرآن، وإنما هى زيادة الشرح، المستنبط من المشروح بإلهام إلهى، ووحى ربانى وتأييد سماوى، وبعبارة أخرى : هى داخلة تحت أى نوع من أنواع السنة البيانية، أو داخلة تحت قاعدة من قواعد القرآن الكريم. وهم بذلك يرون أن تلك الأحكام لا تخالف القرآن الكريم 0

وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى رداً على دعوى مخالفة الرجم للقرآن الكريم يقول : "قولهم[3] هذا مخالف لكتاب الله عز وجل، لأنه قضى بالرجم والتغريب[4] وليس للرجم ولا للتغريب فى كتاب الله ذكر، فإن كان الحديث باطلاً فهو ما أردنا، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم والتغريب. يقول الشاطبى : فهذا اتباع للمتشابه، لأن الكتاب فى كلام العرب، وفى الشرع يتصرف على وجوه منها : الحكم والفرض كقوله تعالى : **كتاب الله**

---

1 () سيأتى تفصيل تلك الآيات فى المطلب التالى ص 364 0

2 () هو إبراهيم بن موسى الغرناطى، الشهير بالشاطبى، أبو إسحاق، مفسر، أصولى، لغوى، محدث، ورع زاهد، من مؤلفاته النفيسة : الموافقات فى أصول الفقه، والاعتصام فى الحوادث والبدع، مات سنة= =790هـ له ترجمة فى : شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف 231 رقم 828، والمجددون فى الإسلام لعبد المتعال الصعيدى ص 305، والفتح المبين لعبد الله المراغى 2/204، وأصول الفقه وتاريخه للدكتور شعبان إسماعيل ص 384 0

3 () يحكى الإمام هذا الكلام عن أهل الابتداع قديماً، وحديثاً تابعهم من سبق ذكرهم ص 339، 340 0

4 () إشارة إلى قوله [illegible]

عليكم[1] أى فرض الله عليكم وقوله : **كتب عليكم الصيام**[2] أى فرض عليكم، وكذا قوله **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال**[3] فكان المعنى : "لأقضين بينكما بكتاب الله" أى بحكم الله وفرضه الذى شرع لنا، ولا يلزم أن يوجد هذا الحكم فى القرآن، كما أن الكتاب يطلق على القرآن، فتخصيصهم الكتاب بأحد المحامل من غير دليل اتباع لما تشابه من الأدلة"[4]0

ثم قال الإمام الشاطبى : "وقول من زعم[5] أن قوله تعالى فى الإماء :

فإن أتين بفاحشة

فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب[6] لا يعقل مع ما جاء فى الحديث : أن النبى رجم، ورجمت الأئمة بعده[7]؛ لأنه يقتضى أن الرجم ينتصف، وهذا غير معقول، فكيف يكون نصفه على الإماء؟ هذا ذهاباً منهم إلى أن المحصنات هن ذوات الأزواج، وليس كذلك، بل المحصنات هنا المراد بهن الحرائر، بدليل قوله أول الآية : **ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات**[8] وليس المراد هنا إلا الحرائر؛ لأن ذوات الأزواج لا تنكح"[9]0

---

1 () جزء من الآية 24 النساء 0

2 () جزء من الآية 183 البقرة 0

3 () جزء من الآية 77 النساء 0

4 () الاعتصام 1/199، 200، 2/558، 559، وينظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 88 – 90، وضلالات منكرى السنة للدكتور طه حبيشى ص 295 0

5 () حكاية منه عن أهل الابتداع قديماً، وتابعهم حديثا. توفيق صدقى فى مقاله : "الإسلام هو القرآن وحده" فى مجلة المنار المجلد 9/523، 524، وأحمد حجازى السقا فى كتابيه إعجاز القرآن ص 79، ودفع الشبهات ص 108، والسيد صالح أبو بكر فى الأضواء القرآنية ص 313، 314، ومصطفى المهدوى فى البيان بالقرآن 1/334، 356، ونيازى عز الدين فى دين السلطان ص 948، وأحمد صبحى منصور فى لماذا القرآن ص 112 وغيرهم 0

6 () جزء من الآية 25 النساء 0

7 () يشير إلى قول عمر بن الخطاب : "رجم رسول الله [illegible]

8 () الآية 25 النساء 0

قلت : وكذلك حد الردة الذى يزعمون أنه يناقض القرآن الكريم تجد أصله فى كتاب الله عز وجل، وتأمل قوله تعالى : **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا**[1] والمحاربة والإفساد يكون باليد وباللسان، بل إن محاربة الله ورسوله باللسان أشد، والسعى فى الأرض لفساد الدين باللسان أوكد، ومن هنا كان المرتد عن دين الإسلام، المحارب لله ورسوله، أولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق. ويؤيد أن المحارب لله ورسوله باللسان قد يفسر بالمحارب قاطع الطريق، ما رواه أبو داود فى سننه مفسراً لقوله : **"التارك لدينه المفارق للجماعة"**[2] عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله : **"لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى بعد إحصان، فإنه يرجم، ورجل خرج محارباً لله ورسوله، فإنه يقتل أو يصلب، أو ينفى من الأرض، أو يقتل نفساً فيقتل بها"**[3]0

ويؤيد أن المرتد عن دين الإسلام، المشكك والطاعن فى كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ، محارب لله ورسوله، وتشمله الآية الكريمة ما روى عن أنس، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم. أن آية المحاربة نزلت فى قوم عرينة : سرقوا، وقتلوا، وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله 0

فعن ابن عمر : أن ناساً أغروا على إبل النبى ، فاستقوها، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا راعى رسول الله ، مؤمناً، فبعث فى آثارهم، فأخذوا، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَلَ أعينهم، قال: ونزلت فيهم آية المحاربة[4]0

---

9 () الاعتصام 2/509، 560، وينظر : تأويل مختلف الحديث ص 177، 178 0

1 () الآية 33 المائدة 0

2 () عن ابن مسعود مرفوعاً : "لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم 6/179 رقم 1676، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الديات، باب قوله تعالى : "أن النفس بالنفس" 12/209 رقم 6878 0

3 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد 4/126 رقم 4353، ورجاله كلهم ثقات فالإسناد صحيح 0

4 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الحدود، باب ما جاء فى المحاربة 4/131 رقم 4369، وينظر : الروايات الأخرى أرقام : 4364 – 4372، ففيها أيضاً التصريح بنزول آية المحاربة فيمن ارتدوا وحاربوا. وأصل قصة العرنيين فى الصحيحين. ينظر : صحيح البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الحدود، باب المحاربين

ويدل أيضاً على قتل المرتد قوله تعالى : **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً**0[1]

قال الحسن البصرى[2] : أراد المنافقون أن يظهروا ما فى قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله فى هذه الآية، فكتموه وأسروه[3] وهذا يعنى : أن المنافق حين يظهر كفره، ويطعن فى دين الله عز وجل؛ يأخذ ويقتل عقاباً له 0

والسؤال هنا : هل هناك شك فى أن المرتد عن دين الإسلام منافق؟ يسعى إلى تفريق جماعة المسلمين، وإفساد دينهم عليهم!0

إن المرتد، إن كانت ردته بينه وبين نفسه، دون أن ينشر ذلك بين الناس، ويثير الشكوك فى قلوبهم، فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده هو المطلع على ما تخفى الصدور. أما إذا أظهر المرتد عن دين الإسلام ردته، وأثار الشكوك فى نفوس المسلمين بالنطق بكلمة الكفر، وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كان حاله حينئذ، حال المنافق الذى يظهر ما فى قلبه من الكفر والنفاق، و جهاده واجب عملاً بقوله تعالى : **يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير. يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم**

من أهل الكفر والردة 12/111 – 114 أرقام 6802 – 6805، ومسلم (بشرح النووى) كتاب القسامة، باب حكم المحاربين المرتدين 6/167 رقم 1671 0

1 () الآية 60 الأحزاب 0

2 () هو : أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى، مولى زيد بن ثابت، كان عالماً رفيعاً، ثقة، حجة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. مات سنة 110هـ له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 1/71 رقم 66، ووفيات الأعيان 2/69 رقم 156، وتهذيب التهذيب 2/263 رقم 488، وطبقات المفسرين للداودى 1/150 رقم 144 0

3 () الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيميه ص 348، 349، وينظر : الدر المنثور 5/222، وروح المعانى 22/ 90، 91 0

وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير0[1]

ووجه الدليل فى الآيتين : أن الله عز وجل، أمر رسول الله ، بجهاد المنافقين كما أمره بجهاد الكافرين، وأن جهادهم إنما يمكن إذا ظهر منهم، من القول أو الفعل ما يوجب العقوبة، فإنه ما لم يظهر منهم شئ ألبتة لم يكن لنا سبيل عليهم. فإذا ظهر منهم كلمة الكفر. كما قال عز وجل: **وكفروا بعد إسلامهم** فجهادهم بالقتل؛ وهو العذاب الأليم الذى توعدهم به رب العزة فى الدنيا بقوله : **وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة**0

وهذه الآية نظير قوله تعالى : **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا**[2] قال أهل التفسير : "أو بأيدينا" بالقتل؛ إن أظهرتم ما فى قلوبكم قتلناكم، وهو كما قالوا؛ لأن العذاب على ما يبطنونه من النفاق بأيدينا لا يكون إلا بالقتل لكفرهم[3]0

فهل بعد كل هذه الآيات الكريمات شك فى أن المرتد عن الإسلام إذا أظهر كلمة الكفر مثل المنافق جزاؤه القتل بصريح القرآن الكريم؟! وهل بعد ذلك شك فى أن حد الردة الوارد فى السنة المطهرة لا يناقض القرآن الكريم؟!0

إن ما زعمه أدعياء العلم، من مخالفة حد الرجم، وحد الردة، لكتاب الله عز وجل، زعم باطل، فتلك الأحكام الجديدة التى جاءت بها السنة المطهرة، هى تبيان لكتاب الله عز وجل، ولا تخالفه على ما سبق، وهذا على رأى من لا يسمى الأحكام الزائدة أو الجديدة فى السنة استقلالاً. أما من يسميها استقلالاً، فيقر بها، ويرى أنها واجبة الاتباع، عملاً بنص القرآن على وجوب طاعة رسول الله ، ووجوب قبول كل ما أخبر به أو قضى به 0

---

1 () الآيتان 73، 74 التوبة 0

2 () الآية 52 التوبة؛ وهذه الآية نظير قوله تعالى : [illegible]

3 () الصارم المسلول على شاتم الرسول [illegible]

وأنت ترى هنا أن الخلاف بين العلماء فى الأحكام الجديدة الواردة فى السنة المطهرة، الخلاف بينهم لفظى، فالكل يعترف بوجود أحكام فى السنة المطهرة، لم تثبت فى القرآن الكريم، ولكن بعضهم لا يسمى ذلك استقلالاً، والبعض الآخر يسميه. والنتيجة واحدة؛ وهى حجية تلك الأحكام الزائدة،ووجوب العمل بها 0

ب- ليس فى الأحكام الزائدة على كتاب الله عز وجل، ما يشوه سيرة رسول الله ، بجعله مشرعاً؛ كما يزعم أعداء السنة المطهرة! لأن الله تعالى قد جعل من جملة صفات رسوله ، ومن مهامه الكبار، أنه يحلل ويحرم، وهكذا جاء وصفه فى الكتب السماوية السابقة، وهو عليه الصلاة والسلام، لا يشرع من عند نفسه، إنما يشرع حسب ما يريه الله تعالى ويوحيه إليه، لأنه لا ينطق عن الهوى، وتأمل قوله تعالى : **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**0[1]

فقوله تعالى : "يحل، يحرم، يضع" هذه من خصائص المشرع الحقيقى، ولكنه ، لا يفعل من عند نفسه كما قلت، إنما يوحى الله تعالى إليه. فأطايب اللحم، كان محرماً على بنى إسرائيل : **إلا ما حرم إسرائيل على نفسه**[2] فقد أباحه النبى ، كلحم الإبل، وشحم البقر، والغنم، على التفصيل المذكور فى قوله تعالى : **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون**0[3]

وقوله تعالى : **ويحرم عليهم الخبائث** كالميتة، والخنزير، والخمر، والربا... الخ وقوله تعالى : **ويضع عنهم إصرهم** أى ثقلهم

---

1 () الآية 157 الأعراف 0
2 () جز من الآية 93 آل عمران 0
3 () الآية 146 الأنعام 0

والأغلال أى القيود التى كانت عليهم، كوجوب قتل النفس فى التوبة، بينما فى ديننا هو الاستغفار والندم، وغسل النجاسة بالماء، بينما كانت تقرض بالمقراض، فهذا كله تخفيف من الله تعالى ورحمة، أوحى به إلى نبيه ، وعلينا السمع والطاعة والامتثال 0

وبالجملة : إذا قيل إن رسول الله ، له حق التشريع، فمرد هذا التشريع عند من يقول بذلك إلى الله عز وجل. لأن ما يصدر عن رسول الله فى تبيانه لكتاب الله، لا يخلو عن أن يكون هذا البيان النبوى – حتى ولو كان بأحكام زائدة – أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسوله ، وعبر عنه رسول الله، بألفاظ من عنده، وهذا هو الأعم الأغلب فى السنة النبوية، فيجب قبوله، لما تقرر من عصمته فى بلاغه لوحى الله تعالى – قرآناً وسنة – وإما أن يقول رسول الله تبياناً أو حكماً باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله أو حكمه مراد الله عز وجل، فالأمر كما أخبر به عليه الصلاة والسلام. وإن كان الأمر يحتاج إلى صحيح أو توضيح؛ أوحى الله تعالى إلى نبيه بالتصحيح. وهذا هو الأقل النادر فى السنة النبوية 0

وبهذا التصحيح تصبح السنة فى هذه الحالة؛ حكم الله فى النهاية، حجة على العباد إلى يوم الدين، وتجب طاعة رسول الله . فى هذه السنة، بيانية كانت، أو زائدة على كتاب الله عزوجل. يدل على ذلك عشرات الآيات القرآنية التى تحض على طاعته وتحذر من مخالفته 0

وإذا كان أعداء السنة المطهرة، والسيرة العطرة، ينكرون ذلك.
ويزعمون أن طاعته تنحصر فى القرآن فقط 0

فإلى بيان شبهتهم فى المطلب التالى والرد عليها